دور المسجد فى التنشئة الصحيحة

الإنسان هو صانع الحضارة؛ لأنه بعقله يفكر ويبتكر ويخترع؛ لأن الحاجة هى أم الاختراع. وكلما احتاج الإنسان إلى شىء فكَّرَ وخَطَّطَ، ووضع البرامج والحلول والنظريات؛ كى يحصل على أرقى الأشياء التى تفيده وتنفعه وترقى به فى الحياة. وهكذا يؤدى الفكر دورًا مهما فى حياة الإنسان، ومن ثَمَّ وجب الاهتمام به منذ مولده، والعمل على تنشئته تنشئة فكرية تتسم بالنضج المبكر والتفكير السليم، والأداء الجيد.

إن أساس ذلك منذ بزوغ فجر الإسلام وإلى اليوم هو المسجد؛ فهو الذى يهتم بالطفل ويرعاه، ويعمل على توسيع مداركه، وترقيق مشاعره، وتهذيب وجدانه... إن كل يوم تشرق فيه الشمس وترسل بأشعتها الذهبية لتبعث النور فى الكون والدفء فى الأجساد، ويسعى الكل إلى عمله للإنتاج والتعمير والبناء - يكون هناك فى كل مكان مسجد يُفْتَح، أو مسجد يقام، ومن هنا يتساءل بعض الناس: هل هذه المساجد التى أنفقت عليها ملايين الملايين من الأموال، ألها دور يتناسب مع حجم ما أنفق على تشييدها، أم أنها أبنية فارغة المعنى، تشغل حيزًا من الأرض ولا تأثير لها فى الكيان الاجتماعى؟

ونقول بأن المسجد بناء - مادة - والمادة صَمَّاء والبناء كذلك، وكُلٌّ من البناء والمادة يحتاج إلى مَنْ يحركه؛ ليكون هناك التفاعل فى المجتمع وتأدية الرسالة لصالح الإنسان.

ومما لا يختلف فيه اثنان: أن المسجد كمبنى يحتاج إلى عقل مفكر، ولسان ناطق، ومن خلال ذلك يتحرك المسجد ليؤدى دوره فى البيئة المحلية، وينشر ضوءه فى الآفاق.

والمسجد جامعة شعبية تؤدى رسالتها على مر العصور، ويشهد لها من تخرجوا فيها، وقادوا سفينة العمل السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى شتى مجالات الحياة، وإذا كان الأمر كذلك فإننا نلحظ فى هذه الأيام أنه قد تعددت أجهزة الإعلام ما بين مسموعة ومقروءة ومرئية، وصار لكل جهاز جمهوره الذى يعشقه وقياداته التى تبذل الجهد فى التخطيط لتطوير رسالة هذا الجهاز مع ما يبذل فى سبيل ذلك من جهود مالية وفنية تضمن للجهاز الاستمرار والاطراد مع دقة التخطيط لجذب الأنظار والعقول.

مكانة المسجد في حياتنا:

نلحظ أن المسجد ما زال يمثل المكانة العليا من بين الأجهزة الإعلامية؛ لأن منبره يمثل أقوى صوت يُوَجَّه للناس، ذلك أن ما يقال عليه يمثل رسالة الله التى حملها الأنبياء، وغايتها إسعاد الناس، ونشر الأمن والاستقرار، وإيجاد تنمية شاملة بجدٍّ واجتهادٍ لكل مرافق الحياة.

إن كان المسجد يواكب الحياة ويتفاعل معها، ويؤدى جميع الخدمات التى تحتاج إليها المنطقة الواقع بها، وأهم وظيفة للمسجد ـ بعد العبادة ـ التعليم، لأن رسول الله ﷺ مَارَسَ وظيفة التعليم للمسلمين فى بيته وفى دار الأرقم بن أبى الأرقم وفى المسجد

الذى كانت تُعْقَدُ به حلقات العلم، وظلت وظيفة المسجد مع العبادة «التعليم» بل إنها اتسعت فكانت مكانا للقضاء ومجالاً لعقد ألوية الجيوش المحاربة، وكانت تستقبل فيه وفود القبائل وسفراء الدول.

والمسجد فى رحابه يتدارس المسلمون أمور دينهم ودنياهم، وكل ما يتعلق بشئون الحياة؛ لأن علاقة الإنسان الروحية بربه لم تكن قاطعة له عن علائق الدنيا، والمسجد فى المجتمع المعاصر يستطيع أن يقدم خدمات جليلة تلبى احتياجات المجتمع، وتحافظ على كيانه الاجتماعى، وتدفع به إلى التقدم والازدهار.

المسجد والأطفال:

يظن بعض الناس أن الأطفال يُمْنَعُونَ عن المساجد، ويَرْوُونَ فى ذلك بعض النصوص الواهية، مثل: «جَنِّبُوا صِبْيانَكُمْ ونِسَاءكُم المَسَاجِد»، وهذا فهم خاطئ، حيث لم يَرِدْ ذلك بأساليب صحيحة، وأسانيد قوية، بل المعروف أن المسجد جامعة شعبية، يدخل إليها كل أفراد الشعب للتعلم بلا قيد أو شرط، أو التقيد بسن أو طلب رسوم، وهذا الشرط مباح للذكر والأنثى، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وطفل اليوم هو رجل المستقبل، وعلى المجتمع أن يحرص على تأسيسه من أول لحظة على القيم الأخلاقية العالية، التى يتعلمها من المسجد.

إن المسجد يستوعب طبقات الشعب بلا تفرقة بينهم، ويقدم زاده العلمى لينهل منه الجميع، خاصة الطفولة التى هى أساس

المستقبل وحاملة راية الإسلام عَمَّا قريب، كما أن المرأة فى الإسلام قد كُرِّمَتْ ومنحها الإسلام من الحقوق ما لا يخفى على أحد، ووضع لها الضوابط التى تصونها من عبث العابثين فَنَضَّرَتْ جوانب الأدب العربى، ورققت مشاربه، وأضاءت مذاهبه، وزانت فنونه بما أثمرت قريحتها، وذلك عندما فتح الإسلام أمامها باب الحرية والتكريم والتعليم.

ثم جاءت التعليمات النبوية «لا تَمْنَعُوا إمَاءَ الله مَسَاجِدَ الله».

وإذا كان الأمر كذلك فتعالوا معنا لنقف أمام ساحل الإسلام العظيم، ونغترف من فيضه ما يفتح لنا الباب وينير لنا جوانب الحياة؛ لنتبين على ضوء ذلك كيف اهتم المسجد بالطفولة، وما هو العطاء الذى يقدمه إليها، ونقف معًا لنلحظ ما قدمه الإسلام فى هذا المجال.

أولاً الاختيار:

قبل أن يلود الطفل ويظهر أثره فى الوجود حَمْلاً نرى أن الإسلام يوصى أى رجل أو فتاة، كلا من يرغب فى الزواج، أن يكون هناك اختيار مبنى على الصلاح والتقى والأخلاق والفضيلة، حيث تخرج الطفولة إلى الحياة وهى سعيدة بدفء عاطفة الأسرة التى ترابطت على تأسيس الكيان الاجتماعى للأسرة السعيدة التى تُبنى على التقوى والصلاح وعلى الحب والود والعلاقات الكريمة؛ لهذا كان توجيه الرسول عليه الصلاة والسلام للرجل ولِوَلِيِّ أمر الفتاة أن يكون الاختيار لشريك الحياة

مبنياً على الأخلاق والصلاح: «إذا أتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فتْنَةٌ فى الأَرْضِ وفَسادٌ كَبِير».

وإذا تم الاختيار على تلك الأسس النبيلة فإن العلاقة بين الزوجين تكون فى وفاق، إذا أحب أحدهما الآخر أكرمه وإن وُجِدَ نفور فلن تكون هناك إهانات متبادلة ولا شتائم تصل إلى سمع الآخر فيكون النفور والقطيعة؛ لهذا جاء التنويه فى القرآن الكريم وعلى لسان النبى العظيم سيدنا محمد ﷺ بأن الاختيار لشريك الحياة يتم فى إطار الدين والخلق والفضيلة، ولا يكون للمال أو الجاه أو الجمال تأثير وتغليب على الارتباط، والغرض من ذلك تحقيق المصلحة العامة للطفولة فى المستقبل، فالبيوت التى تُبنَى على دين يدوم بينها الوفاق، وتنشأ الطفولة فى حضن الأسرة السعيدة وهى تشعر بالعواطف الطيبة النبيلة والعلاقات الكريمة.

الحَمْل:

ينظر الإسلام إلى المرأة الحامل نظرة تقدير واحترام، ويوصى برعاية أمرها، وعدم إزعاجها، أو إدخال أى شىء يُنَغِّصُ عليها حياتها؛ لأن مشاعرها وأحاسيسها تنعكس على الجنين الذى بين أحشائها، وأمر الإسلام بالإنفاق عليها وتدبير أمر معيشتها؛ عملاً على راحة الجنين، وعدم إدخال ما ينغص عليه حياته المستقرة، يقول الله تعالى: ﴿**وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾(١).

---

(١) الطلاق ـ من الآية: ٦.

وهناك رسائل وضعها علماء الإسلام فى العناية بالحامل، وكيف نُدْخِلُ البهجة على نفسها ونُرضيها حتى تكون فى حالة معتدلة نفسيا؛ حفاظا على طفل المستقبل.

ثالثاً ـ الميلاد:

فإذا بدأ الجنين يخرج إلى الوجود فإن المسجد يقدم النصائح إلى الزوج الذى أصبح يحمل لقب الأبوة، والمرأة التى تحمل لقب الأمومة، فيقول للأب: عليك أن تنفق على زوجتك من مالٍ حلال ولا تعكر صَفْوَهَا؛ لأن الولد وهو يرضع من لبنها سوف يأخذ من سماتها الشخصية ويتأثر بحالاتها، وتتكون لديه العوامل النفسية من أمه وهى ترضعه.

ويقول للأم: أَرْضِعى طِفْلَكِ وَاعْتَنِى به، ولا تُهْمِلى شأنه، واعْلَمِى أن الرضاعة الطبيعية أهم للمولود من أى شىء آخر مهما كان قدره، وتعالوا بنا نقرأ ما قاله ربنا فى هذا: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾(١).

كما أمر بإسكان المرأة فى بيت مناسب يكفل لها الراحة والطمأنينة وعدم الإزعاج.. يقول الله تعالى: ﴿**أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ**﴾(٢).

---

(١) البقرة ـ من الآية : ٢٣٣.

(٢) الطلاق ـ من الآية : ٦.

ثم يقول المسجد للأب عندما تستقبل المولود: أَذِّن الأذان الشرعى فى أذنه اليمنى بصوت هادئ حتى لا ينزعج الطفل، ثم ردد ألفاظ الإقامة فى أذنه اليسرى.

وعليك أن تحلق شعره، وأن تتصدق بزنته مالاً، وأقِمْ وليمة تدعو إليها الأهل والأصدقاء ابتهاجاً بمقدم المولود «عقيقة».

اصطحاب الأطفال إلى المساجد:

المسجد بيت كل تقى، يذهب الوالد المسن فيأخذ طفله معه، وهناك يجد الطفل المكان المهيأ له ولأمثاله، بحيث يتعلم من رؤيته للمصلين ما يقومون بأدائه وينطبع فى ذهنه مظهر العبادات التى تؤدى لأن لها تأثيرًا فى الكيان النفسى، حيث تسمو بالشخص وترقى به؛ ليكون نموذجًا عظيما فى التعامل الاجتماعى.

من هنا يجب على الأب أن يكون قدوة صالحة أمام طفله، ويحوطه بالتوجيه على قدر مداركه، والمسجد يعد مكانًا للطفولة، فإن الإسلام يبيح أن يهيأ هذا المكان بكل شىء يجذب الأطفال ويحببهم إلى المكان، من حيث إيجاد الوسائل المسلية، فى المكان الملحق بالمسجد للأطفال مثل المكعبات التى يبنى منها الأطفال القصور، أو ما يتراءى لخيالاتهم، وهناك كذلك الأراجيح، وما شاكل ذلك مما له تأثير على عقلية الطفل؛ لنستطيع أن نشكل اتجاهاته، وينمو معه فكره الذى يسمو بالبناء والتعمير.

إن الطفولة صانعة المستقبل، ومن هنا جاء اهتمام المسجد بها، حيث أرشد القرآن الكريم إلى الاهتمام بالطفولة قبل الإيجاد،

وبعد الولادة، إلى أن يصل الطفل إلى خمسة عشر عاما، فتكون الملاطفة والمداعبة، وإلى هذا أشار الامام على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه: «لاعِبْ وَلَدَكَ سَبْعًا، وأدِّبْهُ سَبْعًا، وعَلِّمْهُ سَبْعًا، ثم اتْرُكْ لَهُ أمْرَهُ».

إن الصالحين، من عباد الله يدعون ربهم صباح مساء: «رَبَّنَا هَبْ لَنَا من أزْوَاجِنَا وذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أعْيُنٍ»، ولن يكون المولود قرة عين للأب والأم إلا إذا قاما على توجيهه وربطه بالمسجد من أول يوم، والإمام الغزالى له رسالة عظيمة يحثنا فيها على أن نجعل الأطفال فى سن واحدة يتعامل بعضهم مع بعض، ونحن نراقبهم، حتى يألف بعضهم بعضا، ويأخذ بعضهم المعلومات من بعض، ثم علينا أن نترك لهم وقتًا للعب الحر، كترويح عن النفس مع إعطائهم قسطًا من الراحة وتفقد أحوالهم بين الحين والحين.

المسجد والتنشئة الاجتماعية:

الرسول عليه الصلاة والسلام له توجيهات متنوعة وكثيرة فى كيفية التعامل مع الأطفال، منها قوله (ﷺ) «عَلِّمُوا أوْلادَكُمْ الصَّلاةَ لِسَبْعٍ سنين، واضْرِبُوهُمْ عليها لعَشْرِ سنينَ، وفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فى المَضَاجِعِ»؛ ذلك لأن الصلاة تعوِّدُ الولد حُبَّ الله وحب المسلمين، وفى الوقت نفسه تغرس فيه حب النظافة وتدربه على العمل الجماعى المنظم، والانضباط على أسلوب معين فى اتباع القائد، وتغرس فيه الانتماء للوطن الذى يصلى على أرضه، وتنهض به ليواكب الحياة الاجتماعية، فيحيا بين الناس بخصائص

نفسه الطاهرة وروحه المهذبة، والصلاة مع كونها عبادة تغرس فى روح الطفل هذا، فإنها تنمى فيه حب الناس والتعاون معهم، والمساواة ،والنظام، ويخرج الطفل منها وقد تعلم قراءة القرآن، فيتعود لسانه سلامة النطق، ويستفيد من القراءة التى يقرؤها الإمام فيتعلم لغة قومه ويحسن التعبير.

المسجد رسالة متواصلة في التنشئة المتكاملة للطفل:

ومما لا شك فيه أن الأسرة لها تقاليدها وعاداتها، وأن الطفل ينطبع فى ذهنه ما يجرى فى ساحة المنزل وما يجرى فى ساحة الأسرة من علاقات وتعامل؛ لهذا كان تعليم المسجد للآباء أولاً أن يتعاملوا بعضهم مع بعض بالكلمة الهادئة، وخفض الصوت، مع نشر الأمن والحرية فى رحاب المنزل، بحيث لا يتجسس أحد أفراد الأسرة على الآخر، ولا يكون هناك دس لكلمات منفرة أمام الأطفال.

إنَّ الغرض من ذلك أن الطفل فى المسجد سيتدرب على صِدْقِ الكلمة وحسن الأداء مع شعوره بالحرية والتعبير عن ذاته؛ لأنه سوف يستمع إلى إمام المسجد يوم الجمعة، وهو يخطب فى الناس يحثهم على نشر الرحمة، والتعاون بأمانة، وعدم ترويج الإشاعات، وهذا عطاء المسجد للطفولة مع الكبار. والطفل سوف يتأثر بما يسمع؛ لذلك لابد أن ينعكس هذا فى الأسرة حتى يكون هناك تكامل بين دور المسجد والأسرة، فكلاهما متمم للآخر.

إن الطفل فى المسجد سوف يلتقى بقُرنائه ونظرائه، وهناك يتم التعارف وتبادل الآراء، والمسجد يسهم فى تعريفهم بمبدأ استعمال الشورى عند طرح الآراء، وهذا أسلوب فيه حماية للطفولة، وتعويدهم على التفكير السليم، وطرح الفكر الذى طرأ فى عقولهم على أسماع الجميع، مِمَّا يعودهم على حرية الفكر وحرية التعبير، وهما من سمات الشخصية الناجحة التى تؤدى دورها متكاملا فى الحياة.

الندوات: تؤدى الندوات والمحاضرات والدروس فى المساجد دورًا عظيمًا فى تفهيم الطفولة ما لها من حقوق وما عليها من واجبات، والطفل وهو يستمع بلا شك سيكون صدى الكلمات فى أذنيه، وينعكس ذلك على فكره، مِمَّا يُوَلِّد عنده شخصية متكاملة تؤدى دورها فى الحياة؛ لهذا كانَ على الآباء أن يفسحوا صدورهم لأطفالهم ليستمعوا إليهم، ثم تكون الإجابة مقنعة لهم، فإن عجز الآباء ذهبوا إلى المربين والمفكرين؛ ليستلهموا منهم الرأى الذى يطرحونه أمام الأطفال ليجدوا منفذا لما يعتمل فى أذهانهم، وإجابة صريحة، حتى لا يذهب بهم سوء الخيال إلى أودية سحيقة، من هنا كان دور المسجد وعطاؤه فى الزاد التثقيفى هو الركيزة العلمية التى يتعلم منها الأطفال الممارسة الميدانية بكافة أشكالها واتجاهاتها فى مجال العلم والثقافة وغيرهما.

حفظ القرآن الكريم: القرآن الكريم كتاب الله، حكَى لنا فيه قصص الأولين وأخبار السابقين، وقَصَّ علينا ذكر بعض الحيوانات والطيور؛ ليجد القارئ فيه متعة نفسية، فإذا ما قمنا

بتحفيظ القرآن لأطفالنا وبدأنا بقصار السور وقصص الأنبياء فإن الطفل سوف تتسع مداركه، ويصفو ذهنه، وتتعلق همته بالعمل العظيم؛ لأن القرآن سوف يُقَوِّمُ لسانه وينمى فكره، ويهذب من سلوكه، ويدفع به إلى الحوار مع غيره فى الأمور العامة والخاصة، ويجعله يؤصِّل فكره ويبنيه على المنطق السليم والكلمات المهذبة، وكل ذلك يؤثر فى نفسية الطفل، فيكتسب مهارات فى الحوار والمناقشة، فيشب على ذلك وتتأصل فى نفسه هذه المعانى الإيجابية بعيدا عن السلبية والانطواء.

مكتبة المسجد: يؤدى الكتاب فى حياة الطفل دورًا خطيرًا؛ لأن الكتاب أعظم مُسَامِر، وخيرُ جليس، من هنا يقدم المسجد إلى الطفل الكتاب الذى يتسم بصدق العبارة وحُسْن الصورة، وجمال التعبير؛ لأنه من المعلوم أن القصص الذى يُدَوِّنُ فى الكتاب يعلم الطفل الجود والكرم والشهامة والمروءة، فينشأ وقد تعوَّدَ الصدق من بطل القصة التى قرأها، وانطبع فى ذهنه معالم الخير والفضيلة مما جاء فى الكتاب، فينشأ على سياسة حكيمة، تقيم التوازن والاعتدال بين نواحى شخصيته، ويبتعد عن الصفات المذمومة، كالبُخْل، والجُبْن، والتصنت على الغيّر، أو استراق النظر إلى الآخرين؛ ليتتبع خُطاهم ويحكى عنهم ما لا يليق.

لذلك يهتم المسجد بالكتاب الذى يُقَدَّمُ إلى الطفل، فيختار له أحسن كتاب، ويقدمه إليه كغذاء عقلى؛ ليجد الطفل نفسه بين سطوره وكلماته، فيتعلم منه السياسة والمهارة فى حُسْن التعبير والأداء.

إن المسجد مكان مُعَدٌّ للصلاة يدخله الإنسان وهو على نظافة فى الملبس والهيئة والجسد؛ لقول الله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(١). والنظافة سلوك حضارى مع كونها خُلُقًا إسلاميًّا، فيتعلمها الطفل عندما نقدم له كتابا عن الوضوء.

ومما سبق يتجلى ما للمسجد من دور حيوى فى التنشئة السياسية لأطفال المسلمين على الوجه التالى:

- يزيد الوعى السياسى والوعى الوطنى بارتباط الطفل بالمسجد، بصفته وجهة دينية، وكقطعة من أرض الوطن، ويربط الفرد بربه والناس والمجتمع.

- يزيد صلة الطفل بربه ويعلمه أن يحترم الله رب العالمين ويقدسه، وفى العلاقة بين الطفل وربه آداب جليلة سامية تعلم الطفل الدبلوماسية وآداب الحوار والحديث مع كل من هو أكبر منه سنًّا؛ لأن القاعدة: احترام الكبير، والعطف على الصغير، والمصداقية مع الزميل.

- يزيد إمام المسجد من القدرات السياسية للطفل، من الاعتزاز بنفسه، والاستزادة بالمعلومات، وتقديم النصيحة الصادقة، والصدق مع النفس، والصراحة وحرية الحوار مع التمسك بحسن الخلق.

- الصلاة فى المسجد تعلم الطفل مبادئ سياسية جليلة، مثل تعلمه النظام كشكل مصغر للحياة، الرجال فى المقدمة ثم الأطفال

---

(١) سورة الأعراف - من الآية ٣١.

ثم النساء، وكذلك يعلمه المساواة أمام الله لكل المصلين، والمساواة فى الصفوف، والإمامة للأكثر حفظا للقرآن، ثم الأكبر سنًا، فالمساواة والعدالة والنظام والانضباط مبادئ سياسية يغرسها المسجد من خلال الصلاة، فيتعلم العمل الجماعى مع الالتزام بتوجيهات القيادة واحترامها.

ثم إن حضور الدروس والمحاضرات والندوات بالمسجد يكسب الطفل مبادئ سياسية تعليمية من تعلم أدب الحوار والحرية والمناقشة والإقناع والاستزادة بالقيم الأصيلة والمعانى النبيلة لأسس الحياة الصحيحة، مع التمسك والحرص على الآداب الاجتماعية والتقاليد البيئية.

ـ حفظ القرآن الكريم داخل المسجد يؤدى إلى الاستفادة من النماذج السياسية الحكيمة التى أوردها القرآن، ثم يتعرف على آداب الدنيا والدين، ونظام الكون كله من خلال الحوار الذى دار بين الأنبياء وأقوامهم.

ـ خطبة الجمعة قمة عطاء المسجد للجميع، ومنهم الأطفال؛ لأن بها العظات والعبر، وربط الدين بالدنيا، وتلقين الجميع مبادئ هامة فى حياتنا، منها ما هو سياسى، وثقافى وأخلاقى واجتماعى.

ـ المسجد مكان التقاء الأحباب والأصدقاء للتعاون وتبادل الآراء، وهو نقطة انطلاق نحو المشاورة والشورى الإسلامية،

وهى أساس الديمقراطية الإسلامية الصحيحة، وهى غاية التنشئة السياسية للطفل، خاصة عندما يكون الحوار من أجل النهوض بالبيئة كالتدريب على الحرف اليدوية والمعاونة فى أداء الخدمات الاجتماعية التى تعود على أبناء المنطقة بالرفاهية.

- المسجد بصفته بيت الله فى الأرض، يعلم الطفل الولاء لله والانتماء للوطن الكبير بصدق ووفاء.

- المسجد يعلم الطفل الصدق فى العطاء وعدم البخل والشح، وبالتالى يعطى الطفل صفات سياسية مثل التضحية والبذل والعطاء، وهى قيم سياسية أصيلة؛ لأنها تتسم بالمروءة والإخلاص.

- تعليم الطفل الحرية من خلال الحوار والمناقشة الصريحة مع الإمام، ومن خلال دروس المسجد، ويعطى الطفل حرية الفكر وحرية الرأى وحرية الممارسة، مما ينشئ الطفل تنشئة سياسية صالحة لأن يتعلم هذه القيم مع الأدب وحُسن الخُلق، والانضباط على المعايير العامة.

- يتعلم الطفل من المسجد الاقتداء الحسن، وله أثر سياسى طيب فى نفوس الأطفال.

- مكتبة المسجد تؤدى دورًا بالغ الحيوية فى إكساب الطفل المعارف والمعلومات المختلفة عن الأمة الإسلامية مما يزيد من وعيه السياسى. كذلك المكتبة السمعية والمرئية مما يؤصل قيم قومه وتاريخهم.

ـ يسبق الصلاةَ الطهارةُ والنظافةُ؛ لأنها شرط من شروط صحة الصلاة، وبالتالى يتعلم الطفل منها المعايير السليمة؛ ليكون مواطناً صالحاً نظيفاً مؤمناً، فالمسجد جامعة الحياة وأساس التنشئة الكاملة للطفل، وأساس تنشئته السياسية والاجتماعية التى تتسم بالحفاظ على نظافة البيئة كلها.

لكل هذه الأسباب السابق ذكرها نعلم دور المسجد الرائد الذى يهيئ الجو السعيد للطفولة السعيدة، مع إيجاد مناخ اجتماعى صالح ليكون لأمتنا من أبنائها من تسعد به وتفخر؛ لأن خير الأبناء هم الذين تَرْقَى بهم الأمة، ويسعد بهم الجميع، وطفل اليوم رجل المستقبل الذى تسعد به الأمة.

وبعـــد.. فإذا كانت وسائل الإعلام بكل أجهزتها المختلفة تستطيع أن تؤدى دورًا، فإن المسجد يؤدى أدوارًا للطفولة والشباب والكهولة، يستوى فى ذلك الذكر والأنثى فى كل مراحل الحياة.

والحمد لله، مصر المحروسة يقع فى ربوعها أكثر من خمسين ألف مسجد، علاوة على ما يتم إنشاؤه فى كل يوم فى كافة المدن والقرى، وكلها تؤدى دورها فى التنمية الشاملة لكل مرافق الحياة، وقبل ذلك الإنسان الذى هو الأساس فى التنمية الشاملة فى أى مجتمع.. نسأل الله العلى القدير أن يوفقنا كى ننهض بالمسجد ورسالته ودوره فى خدمة المجتمع.

نمـــوذج
لخطـة عمـــل

يتم اللقاء فى المسجد خمس مرات فى اليوم والليلة للطاعة والعبادة، وتدور الأحاديث الدينية عن الحلال والحرام، والواجب، والحق، والعقيدة، والتاريخ، والتفسير، والسنة، والفقه ومدارسه، والإعلام وما يقدمه، والتحليلات الدينية والزراعية والصناعية والتجارية والطبية، والمدارس الفلسفية؛ لأن عطاءَ المسجد العلمى شاملٌ ومتنوع لكل ما يتعلق بشئون الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية والعملية والسياسية الدولية والمحلية، كذلك المناسبات القومية، والأحداث العالمية.

ومما لا شك فيه أن المسجد هو المكان المُعَدُّ للصلاة، ويؤدى دوره فى الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية، والإمام هو الذى يسهم بفكره وعقله فى أن يقوم المسجد بهذا الدور الرائد وهو يلقى العبء على الإمام؛ لأن الواجب عليه أن يفكر ويبتكر أساليب للعمل الحرفى والذهنى واليدوى لشغل أوقات هؤلاء الناس؛ لأنهم لو تُرِكُوا هكذا فسوف يفكرون فى الشر، حيث من المقرر أن الناس إن لم يشغلهم الحق شغلهم الباطل.

وبداية نضع معًا نقاطًا نرتكز عليها فى سيرنا، وقد يكون هناك فى البيئة المحلية أسلوب أفضل لعمل متميز فيه النفع عما ذكرناه، والنقاط هى:

١ ـ عمل مجموعة بالمسجد تقوم بنشر التوعية لمحو الأمية، مهمتها توعية الجماهير بأهمية هذا المشروع، ولضمان نجاحه يكون هناك تعاون مع إدارة المدرسة؛ لتقوم بفتح أبوابها خلال فترة الصيف.

٢ ـ عمل مجموعة للتوعية بأهمية حلقات فصول التقوية، ويستطيع الإمام أن يستعين بمجموعة من طلبة الجامعة للقيام بهذا المشروع ذى النفع العام. ويتم إخطار الجهة المعنية «المديرية» لإخطار المحافظة، لإمكان مكافأتهم من صندوق الخدمة العامة بالمحافظة.

٣ ـ تحفيظ القرآن وما يجب على الآباء أن يفعلوه تجاه أبنائهم وذويهم لحفظ القرآن الكريم. والمسجد يفتح أبوابه لهذا العمل العظيم.

٤ ـ مجلة الحائط: هذا المشروع يقوم الإمام باختيار مجموعة من الشباب المتميز لعمل مجلة حائط بالمسجد، وتشتمل هذه المجلة ـ كنموذج ـ على آية، وحديث، وحكمة، وطُرْفَة، مع بيان فضل الوضوء وكيفية إسباغه، والنظافة وأثرها، إلى غير ذلك من الأمور العلمية التى يراها الإمام تناسب أهل الحى وتتفق مع فكرهم وثقافتهم.

٥ ـ عمل لجنة من الشباب تكون مهمتها الدعوة إلى زراعة الأشجار والمحافظة عليها، وتنمية القرية بهذا اللون الأخضر؛ ليكون مصدر خير للجميع.

٦ ـ تكوين مجموعة من الشباب تحت اسم رواد عمل الخير. . تكون هذه المجموعة مهمتها الدعوة إلى توجيه الخير فى أى لون من ألوانه إلى مستحقيه، ويتصل هؤلاء الرواد بالجمعيات الخيرية أو لجان الزكاة للإسهام فى عمل مشاريع إنتاجية فى القرية بقدر ما يتلاءم مع الاحتياجات الفعلية، والغرض من ذلك تحويل الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة، ويتم تبعا لذلك فتح مشغل أو حضانة أو مصنع صغير للجبن، أو شراء بعض أنواع الطيور الداجنة وتربيتها والاستفادة منها. . وهكذا يكون التفكير الذى يتفاعل مع البيئة ويقدم الخدمة للجماهير.

٧ ـ مما لا شك فيه أن الفلاحين يعانون معاناة شديدة تتطلب الترويح عنهم بلون محبب إلى نفوسهم، فتقام أمسيات دينية أو شعرية وزجلية، أو ثقافية، وإبراز المواهب فى أى فن خطابى، وما شاكل ذلك، ويتجمع الأهالى، وكلٌّ يُدْلِى بِدَلْوِهِ، ولجنة التنظيم تقوم بالتوقيت والإشراف.

٨ ـ لجنة المصالحات، وزيارة المرضى: يشكل الإمام مجموعة من كبار السن من ذوى الرأى والعلاقات الاجتماعية، ومعهم الشباب، للصلح بين المتخاصمين، سواء من العائلات أو الأصدقاء، وكذلك زيارة المرضى، ولا مانع من استعانة بعض أفراد اللجنة بنسائهم لزيارة المرضى من السيدات.

كل ذلك وغيره يتم من خلال المسجد، ويقوم الإمام بعمل سجل لكل قسم على حِدَةٍ يدون فيه ما قد حدث، ويحدد فيه الأهداف المستقبلية التى تسهم فى خدمة المجتمع وتنميته، وأهل مكة أدرى بشعابها، فما تحتاج إليه منطقة ربما لا تحتاج إليه الأخرى.

وكل مديرية تختار ما يلائمها ويتفق مع الكيان البيئى والمناخ الاجتماعى بهم بحيث نضمن عملا متكاملا، وخطة شاملة تنبع من المسجد لصالح المجتمع ورفاهيته.

إن الامام يقف على ثغر من ثغور الإسلام، كلما رأى فتورا فيمن حوله نبههم إلى اليقظة التامة وحثهم على المشاركة الوجدانية فى كل شأن يعود بالخير والنفع على المجتمع.

والإمام قدوة ورائد، فعليه أن يعطى نفسه حظها من العلم والمعرفة؛ لأنه ليس من المعقول أن يعرض على الناس فكرة وهم أكثر منه علما بها، وأعرف بشئون الحياة والدين منه. والقراءة التى نرجو أن يكثر الإمام منها تكون فى كتاب الله الذى أوحاه الله إلى نبيه، وقال على لسانه: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾(١). والقرآن بالنسبة للداعية هو العمود الفقرى الذى ترتكز عليه الدعوة، والحفظ وحده لا يكفى، بل لابد من التجويد ومعرفة مخارج الحروف؛ لذلك نهيب بك - بوصفك إمامًا تحب أن يحترمك الناس - أن تكون قدوة صالحة لهم،

(١) سورة الأنعام - من الآية ١٩.

ورائداً فى عمل الخير، يجتمع الناس حوله ويستمعون ويأخذون من توجيهاته، وعليك أن تهتم بالقرآن الكريم وأن تقرأ فى تفسيره؛ لتعرف معانى الكلمات، وأن تكون فى حديثك سهلاً غير معقد الألفاظ، ولا تكرر فى الكلمات، ولا تستخدم فى حديثك الألفاظ الركيكة، والعبارات المستهجنة، ثم يأتى بعد ذلك دور السنة النبوية والسيرة... والداعية لن يحتل مكان القيادة والصدارة إلا إذا عكف على السنة والسيرة والتاريخ يستخرج منها المعانى، ويستلهم روح المواقف، ويستنهض الهمم، حسبما كان يفعل النبى ﷺ.

ونريد أن نضع عناوين لأمور يستحب الحديث فيها خلال فصل الصيف؛ لأن الداعية الناجح والإمام الصادق وصاحب الرسالة التى يحملها بأمانة وكفاءة واقتدار ـ هو الذى يواكب الأحداث؛ لأنه كالطبيب الماهر، يشخص الداء ليحدد العلاج، وإذا كان الحق قد قال فى قرآنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[1]. فأنت أيها الإمام الصادق فى دعوتك رسولُ رسول الله إلى قومه فى بيئتك، فحدد ما تراه، وكن يقظًا، تَعَرَّفْ على الأحداث التى تجرى فى المنطقة ـ وقس الأخلاق: أين مستواها؟ وكيف تعالج؟ لأنك لو نزلت بدون تشخيص للأمراض الأخلاقية فى ميدان عملك فسوف يحكم الناس عليك حكماً أنت لن ترضاه لنفسك إن كنت صالحا تقيا وعندك ضمير.

---

(١) إبراهيم ـ من الآية: ٤.

عالج المشاكل بأسلوب علمى حكيم، بحيث تقتنع الجماهير، وتواكب الأحداث، وتتلاءم مع الأفكار، وهذه نقاط للاسترشاد بها:

- الوقاية خير من العلاج: فى إمكانك أن تجعل هذا رأس موضوع تتكلم فيه عن:
- الحفاظ على الصحة العامة (الطب الوقائى) كما بينه القرآن.
- النظافة دعوة إيمانية ومظهر حضارى.
- القرآن وتكريم المرأة.
- الشهامة مطلب إسلامى وغاية اجتماعية.
- الإسلام دين نظام وتنظيم.
- المروءة من خُلُق المسلم.
- العقل مصدر التميز فلنحافظ عليه.
- الزراعة وأثرها فى رقى الأمة، وحديث القرآن عنها.
- النعمة كيف نصونها ونشكر الله عليها.
- الماء وكيف نرشد الاستهلاك فيه.
- المال العام والأمر بالمحافظة عليه واستثماره.
- الأمانة وكيف نتعامل بها مع بعضنا البعض.
- العدل بين الأبناء.

- الوقت وكيف ننظمه ونحافظ عليه.

- الوفاء بالعهد.

- بذل المعروف لمن تَعْرِف ومن لا تعرف.

- رفض الإسلام للسلبية والكسل.

- صلاة الفجر من علامات المؤمنين الصادقين.

- الإسراف ورأى الإسلام فيه.

- التبذير المنهى عنه.

- الكرم والسماحة من صفات المؤمنين.

وغير ذلك من الأمور الكثيرة التى سوف تجد الحاجة تدعوك إلى الحديث عنها، ولا تَنْسَ الدعوة إلى العمل التطوعى، مستشهدًا بحلف الفضول، وإكرام الآباء أحياءً وأمواتًا، والعدل بين الأبناء، وإننا لا نذكر فيك ناسيًا، ولكننا نعمل بتوجيه الله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

وإذَن فمسئوليتك خطيرة، ورسالتك عظيمة، فالتحم بالجمعيات الخيرية ومراكز الشباب، وصل نفسك بأولياء الله الصالحين من الناس الطيبين الذين يعيشون معك فى البيئة، واجمعهم حولك، وسوف يأتى إليك أولادهم وأحفادهم. فكن الامين عليهم وارفق

---

(١) الذاريات: ٥٥.

بهم وكن قدوة صالحة لهم ولا تسمع أذنهم منك الا بكلام الطيب ولا ترى اعينهم منك الا كل جميل فى الفصل والاداء.

زُرْ المَرْضَى وشَيِّع المَوتَى، وجامل الناس، ولا تعزل نفسك عن ركب الحياة حتى لا تموت ولا يشعر بك أحد، ولن تبكى عليك الأرض ولا السماء؛ لأنه «ما استحق الحياة مَنْ عاش لنفسه فقط». كن إيجابيًّا فى حياتك، أسْهِمْ فى عجلة الإنتاج والتنمية؛ لتحيا بين الناس بأفكارك وتوجيهاتك: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ**﴾(١).

وعندئذ سوف تسعد بك الدنيا. كن رجُلَ علمٍ، وقائد جماعة، وشخصية مُصْلِحَةً لَكَ أثرك فى الكيان الاجتماعى الذى تسعد به الإنسانية وترقى به المجتمعات.

الإستعداد النفسى

أيها الداعية، اعلم أن أشرف ميدان للعمل هو ميدان الدعوة إلى الله؛ لأنك تتفاعل مع الكون كله لتعزف على قيثارة الحب الخالد فى الوجود، لتربط العناصر الصالحة للبناء والتعمير فى قافلة البشرية، التى أخبرنا الحق ـ سبحانه ـ أنه استخلفها على الأرض كى تعمر وتنتج كل ما فيه سعادة الإنسان، قال الله تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾(٢).

---

(١) البقرة ـ من الآية: ١١٠ والمزمل ـ من الآية: ٢٠.

(٢) هود ـ من الآية: ٦١.

ولما كان الأمر كذلك، فلقد نهينا عن الفساد فى الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[1].

ويدخل فى إطار هذا عدم إفساد البيئة وتلويث الهواء والماء وإزعاج الناس، وأيضًا التلوث السمعى والعقلى والبصرى، وكل ما من شأنه الإضرار بصحة الناس الجسدية والعقلية والسمعية والبصرية ويحجب المناظر الجمالية، وكل ما يوجد شذوذًا فى تناغم الوجود، وهو يعزف لحن الخلود على قيثارة الكون.

فالكون أبدع الله خَلْقَهُ، ثم قال لك: تَأَمَّلْ فى الكون، وانظر هنا وهناك، وارجع البصر كرتين هل ترى فى خلق الرحمن من تفاوت، بربك يا أخى، وربك شاهد، هل نظرت يوما إلى قرص الشمس لحظة المغيب، ورأيته والحمرة تزحف عليه، وجيش الظلام آت من الشرق يزحف إليه، فتجد السماء وقد أصبحت لوحة جمالية تعجز البشرية كلها أن تصنع مثلها، أى مثل تلك اللوحة الطبيعية الجميلة؟

وهل سألت الشمس: لماذا أصبحت كعين محب يبكى على فراق محبوبه؟ أم أن الشمس تبكى لما شاهدته من كثرة خطايا بنى آدم الذى أسكنه الله فى أرضه وأغدق عليه من خيره، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، ثم هو لا يستجيب له، ولا يتبع الرسل وإنما يتبع هواه.

---

(١) الأعراف ـ من الآية: ٥٦.

لهذا يجب على الداعية أن يستشعر هذه المعانى فى نفسه، وأن يعلم أنه المسئول عن بيان ذلك للناس، وهو قبل ذلك عليه أن يستعد استعدادا طيبا ويهيئ نفسه لتحمل تلك المسئولية، وأن يستشعر ذلك نفسيًا؛ ليكون عنده إحساس بأداء الواجب المنوط به، ويؤهل نفسه بما هيأ الله به نبيه ومصطفاه، فإنه لما كلف الله النبى ﷺ بالرسالة فى غار حراء، وذهب إلى زوجته خديجة - رضى الله عنها - مضطرباً، وقال لها: زَمِّلُونى، واضطجع النبى ﷺ - نَزَلَ عليه جبريل عليه السلام، وقال له، ما كُلِّفَ إياه من قِبَلِ الحق: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۝٤**﴾(١).

وقام النبى ﷺ وبَلَّغَ ونَصَحَ، ووعَظَ وجَاهَدَ، وينزل عليه القرآن يقول له: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾(٢). وعلى هذا، فإن الداعية صاحب رسالة، يبلغها بالحسنى والكلمة الهادفة المشرقة بأنوار الحق، وهو ربانى الهدف، يصل نفسه بالله ويحسن العلاقة بينه وبينه: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ**﴾(٣).

---

(١) المزمل - من الآية: ١ - ٤.

(٢) المائدة - من الآية: ٦٧.

(٣) الأحزاب - من الآية: ٣٩.

والله عندئذ يتولى الداعية ويحرسه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(١). وملائكة السماء تؤيد خطاه وترعاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾(٢). كما أن الحق سبحانه وتعالى يدافع عنهم، ويعلن الحرب على من يعاديهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٣). وفى الحديث القدسى: «مَنْ عَادَى لى وليًّا فقد آذَنْتُهُ بِالْحَرْب».

إن المطلوب من الداعية أن يحسن العلاقة بالله عن طريق الإخلاص فى دعوته، وأن يكرم نفسه ولا يهينها، وأن يتخلق بالخُلُق الحَسَنْ، ويتصف بالمروءة، وأن يكون شجاعًا بالحق، متأدبًا بأدب القرآن، لا يجرح الناس، ولا يتعالى عليهم، ويكون كشعاع الشمس الدافئ بعد لحظات برد، الكل يستمتع به ويظن أنه الوحيد فى الوجود الذى منحته أشعة الشمس دفئها.

إن الداعية الواعى يهيئ نفسه ويستعد لملاقاة الجمهور فى كل لحظة؛ لأنه دارس لأحوال المجتمع، متمكن من أصالة فكره، وسمو روحه، وصفاء قلبه ونقاء سريرته، ويهتف بكل مشاعره وأحاسيسه وبكل كيانه: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٤). يا مَنْ عَلَّمْتَ

---

(١) البقرة ـ من الآية: ٢٥٧.

(٢) فصلت: ٣٠.

(٣) الحج ـ من الآية: ٣٨.

(٤) طه ـ من الآية: ١١٤

حبيبكَ المصطفى، وقلت له: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[1]. هيئ لى من أمرى رشدا: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾[2]. يا من علمت عبدك الصالح من لدنك علمًا، علمنى، وألهمنى الرشاد، واجعل الحكمة تجرى على لسانى، فأنا عبدك الضعيف، وأنتَ الرب القوى العليم الحكيم.

إن الراحمين - يا أخى - يرحمهم الرحمن، وعباد الله لن يتخلى عنهم أبدا؛ لأنه - سبحانه وتعالى - ينصر رسله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾[3]. وما عليك إلا أن تنتصر على نفسك، وتلتحم بالجمهور، تحثهم على التنمية الشاملة لكل مرافق المجتمع، وسوف يتحقق لك ذلك، ما دمت مع الله، به تستعين، وعليه تتوكل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4].

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[5].

أيها الداعية: إن الناس إن لم يشغلهم الحق شُغِلُوا بالباطل، ودعوتك حق، فإن غبت عن الساحة، وظهر أهل الشر والفساد فلا تلومن إلا نفسك، لأننى - كما ألوم أهل الباطل على تحركهم - ألوم أهل الحق على تخاذلهم.

---

(١) النساء - من الآية: ١١٣.

(٢) طه: ٢٧ و ٢٨.

(٣) غافر: ٥١.

(٤) العنكبوت - من الآية: ٦٩.

(٥) النحل: ١٢٨.

فهيا يا رجال الله، قبل فوات الأوان، وجِّهُوا دعوتكم بالحق، وحَصِّنُوهَا بالعلم والثقافة والمعرفة، ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾(١). واعلموا أن قائدكم المصطفى ﷺ قال: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ» يعنى قول الله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾(٢). فإذا كان النبى الأمين قد شاب شعره من هذا الأمر الإلهى، فهل آن الأوان - يا أخى - أن تقوم بالواجب عليك وعلينا جميعًا، بأن ندعو إلى الله على بصيرة، وبالحسنى والحكمة، وأن نكون أوفياء لديننا؛ لأن الله لا يسوى بين العلماء العاملين والعلماء الكسالى أبدا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣).

فهيئ نفسك - أيها الداعية - لتكون من جند الله الغالبين المنتصرين بالحق، والداعين إلى الحق، والمتمسكين بالحق، وردد: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(٤).

والله يأخذ بيدك إلى الخير والرشاد.

---

(١) هود - من الآية: ١١٣

(٢) هود - من الآية: ١١٢

(٣) فصلت: ٣٣ وصدر ٣٤.

(٤) يوسف - من الآية: ١٠٨.

الخاتمة

إذا كانت الإنسانية فى حاجة إلى نور الفجر يبين لها طريقها بعد أن لفها الظلام وحجبها عن سعيها، وإذا كانت فى حاجة إلى نور الحق كلما عمها ظلام المادة فابتعدت عن الحق وزين لها الشيطان سوء عملها، وإذا كانت فى حاجة إلى العدل ليرعى حقوقها ويصون كرامتها إذا انتشر الظلم وعم الفساد ـ فهى دائما فى حاجة إلى الداعية الذى يبشر بالخير، ويحث الناس على التمسك بالقيم الأخلاقية، والنهوض إلى العمل البناء لصالح الإنسانية، ويؤسس ذلك على العدل.

والداعية المسلم يريد الخير لكل البشر، ويسعى لإسعاد الجميع، لا يتعصب لجنس، ولا ينحاز إلى جماعة، ولا يميل إلى حزب؛ لأنه روح تسرى فى جسد الأمة فتحييه بالحق، ونور يبدد ظلمات الجهل، ويهدى الحيارى سواء السبيل، ويدعو إلى الأمن الذى يطرد الخوف من نفوس الناس ويبشر بالسلام؛ لأن الإنسانية فى حاجة ماسة إلى الأمن؛ ليتمكنوا من تحصيل رزق الله المادى لإطعام أبدانهم، وغذاء أجسامهم لتقوى على السير للعمل على ما يرفع شأنهم، ويُعْلى قدرهم ويهيئ للأمة أسباب الكرامة الإنسانية فى دنيا الناس، وإذا كانت البشرية فى حاجة ملحة إلى من يثقف عقلها، ويلين قلبها وينير بصيرتها، ويوضح لها معالم الخير والحق والعدل والجمال ـ فليس هناك إلا الداعية.

وإذا كانت الأمة لا تستغنى عن الطبيب ليعالج أمراضها، ويصف الدواء لعللها. . وإذا كانت الأمة لا تستغنى بحال من الأحوال عن الجندى ليحرس حدودها ويُؤَمِّنَ حياتها، فهى مع كل ذلك لا تستغنى عن الصانع والتاجر والزارع، وهى فى أشد الحاجة إلى العلماء الذين يطببون أرواح الأفراد ويبشرون بالأمل، ويبينون الجلال من الحرام، ويبعدون القلق عن قلب كل إنسان، حتى لا يحدث انفصام فى شخصيته، لذلك فإن الدعاة فى جسم الأمة هم العقل الفاهم، والعين المبصرة، والسمع لنبض الأمة، بل هم القلب النابض بالحياة؛ لأنهم يحملون أمانة الكلمة ومسئولية التوجيه عن الهدى الإلهى، والإرشاد المحمدى، وسيرة القدوة الصالحة من رموز هذه الأمة الذين أدواراً رائدة فى الحياة.

إن الداعية يدعو لحفظ إنسانية الإنسان وإبراز خصائصه ورعاية حقوقه، ويجعل الحياة ندية بيقظة الضمير وخشية الخالق وحب الناس، وهذا هو مفتاح السعادة والاستقرار الذى تكون به الحياة فى أمن وأمان. إن الدول المتقدمة الغنية تعيش فى رعب من قلق على ما يحيط بها؛ لذلك فهى تحاول أن تُغْرِقَ أبناءَهَا فى الترف المادى، والبطش بالآخرين عن طريق سباق التسلح، وتصدير الرعب إلى الآخرين. وفى الدول النامية قلق كذلك، لما تعانيه من حرمان، وما تحمله من أعباء، فالشخص يرى قلقا هناك من التقدم العلمى المؤسس بعيدًا عن العقل والدين، وقلقًا هنا بسبب الخوف من استخدام التقدم العلمى الذى أصبح سوط عذاب فى يد القوى فى مواجهة الضعيف بلا رحمة أو إحساس. والعنصر

المفقود بين الطرفين هو الإيمان بالله الذى يجعل العلم والمال والإنتاج لخير الإنسانية، والإنسانية تسعد بذلك كما تسعد بشعاع الشمس وضياء القمر وجريان الماء وجمال الزهور وتغريد الطيور، ومع الإيمان بالله إيمان بالأخوة الإنسانية، إيمان بالحرية والعدل والسلام، إيمان دعا إليه كل نبى ورسول، وهتف به الصالحون، واستشهد فى سبيله الأبرار والأتقياء، ويحمل لواءه الدُّعاة فى كل زمان ومكان، ولا ينكر دورهم القيادى أحد؛ لأن رسالتهم هى بناء الإنسان أخلاقيًا، والإسهام بقدر الطاقة فى العمل الاجتماعى لراحة كل إنسان وإسعاده بتبادل المنافع فى جو يسوده الحب والإخاء. لذلك:

١ ـ يجب على الأمة أن توفر للدعاة سبل الراحة بتوفير السكن المناسب لهم بالقرب من مكان العمل، لاستثمار أوقاتهم، حتى يتمكنوا من أداء الواجب المنوط بهم من مشاركة الجماهير فى أفراحهم وأتراحهم، والتدخل بينهم لحل المشاكل، مع الإسهام فى إعطاء الدروس فى المساجد والمناسبات الاجتماعية.

٢ ـ عمل كادر مالى لمن أمضى فى عمله خمس سنوات، وثبتت صلاحيته وقدرته على العطاء؛ لأنه كرجال الإعلام أو القضاء، حيث يرتبط بالمسجد من صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء، ويتخلل ذلك أداء الواجبات والمشاركة فى العمل البيئى والاجتماعى، والرد على جميع الاستفسارات فى الجانب الدينى والاجتماعى، والإسهام

فى محو الأمية والترابط الأسرى، وهذا جزء من عمل الإمام، علاوة على لجان المصالحات التى يشارك فيها بالرأى والحضور.

٣ ـ فتح باب الابتعاث الخارجى أمامهم أسوة بزملائهم فى الأداء.

٤ ـ تشكيل نقابة عامة يكون لها الكيان المعنوى.

٥ ـ إصدار مجلة باسم المساجد؛ ليتمكنوا من التعبير عن آرائهم فيها، ولتكون همزة وصل وربط بين الأئمة.

٦ ـ تعيين عناصر من الأئمة ذات كفاءة وقدرة فى العطاء المتميز فى المجالس المحلية والجمعيات الزراعية والمجلس التنفيذى؛ ليستطيعوا نقل صوت الجماهير من خلال اجتماعاتهم معهم فى المسجد، وإيجاد ربط تلك الجهات والمسجد والجمهور.

٧ ـ تيسيرًا على الإمام تُنْشَأ غرفة عمليات بالوزارة لتجميع المعلومات عن:

(أ) الإحصائيات السكانية. (ب) التطور الصناعى.

(ج) التقدم الميكنى الزراعى. (د) البث الإذاعى.

وتحليل ما يجرى على الساحة الدولية من صراعات وأفكار واتجاهات، وتقديمه إلى الأئمة فى كتيبات؛ ليستطيعوا مواكبة الأحداث، وعدم البعد فى خطبهم عن الواقع الاجتماعى.

إن الإمام صاحب رسالة، كما أنه طاقة يؤدى عمله بقوة واقتدار، يوم يطمئن على مستقبله، ويعلم أن الترقى إلى الوظائف القيادية مفتوح أمامه، ولن يأتى شخص من غير حقله يقفل أمامه الباب، ويغلق عليه الطريق، فلا يستطيع الترقية؛ لأن ذلك إن حدث فإنه يُصاب بإحباط، ويعجز عن العطاء فى عمله، ويُصاب بخيبة أمل؛ لأنه يعلم أنه سيظل فى محله لا يتقدم، وفى مكانه لا يترقى، لذلك فهو لا يستطيع التوصل إلى حلول مشاكل البيئة، ولا ربط الحاضر بالماضى، ولا حث الناس على التطلع إلى المستقبل، ويعيش وكأنه فى مجتمع آخر؛ لأنه كما يقال: «العين بصيرة واليد قصيرة» فيوصف هو ومن على شاكلته بالجمود وعدم القدرة على مسايرة الأحداث، وسبب ذلك ما أصابهم من ظلم فى الماضى.

والدعاة إلى الله يعيشون الواقع، ولا يطلبون المستحيل، ولا يلبسون نظارة سوداء، وإنما هم لسان صدق وكلمة حق، ويعملون فى صمت، وحسابهم على الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء. إنهم - وهم يعيشون الواقع - يرون أوسمة العمل الاجتماعى تُوزَّع على غيرهم، برغم ما بذلوه من جهد، ولا ينالهم منها نصيب، والعيب ليس فيهم ولا منهم، وإنما ناتج عن خلل بعيد عن ساحتهم أُلْحِقَ بهم، ونُسِبَ إليهم وهم منه براء.

لذلك فهم يطالبون بالآتى:

١ - منحهم حصانة، أسوة برجال القضاء بعد العمل فى ميدان الدعوة عشر سنوات؛ ليتمكنوا خلال تلك الفترة من صقل نفوسهم، مع منحهم الضبطية القضائية؛ ليتمكنوا

من خلالها تأديب المارقين عن الدين، المجاهرين بالمعاصى والعمل الفاحش فى الطريق العام، والذين يسبون الدين علنًا وجهارًا بلا حياء أو خجل.

٢ ـ أن يُقْصَرَ عليهم زِيُّهُمْ المتعارف عليه؛ أسوة بزى رجال الشرطة والجيش، بحيث لا يرتديه إلاَّ مَنْ يتخرج من جامعة الأزهر؛ لأن اختلاط لابس الزى جعل الناس لا يميزون بين العالم وغيره، مع منح من يرتدى هذا الزى تيسيراً فى وسائل المواصلات، بحيث يحمل «اشتراكًا» بنصف القيمة؛ احترامًا لهذا الزى، كذلك ظهورهم فى وسائل الإعلام بزيهم يجب أن يكون فى مواقف كريمة ومناظر مهذبة.

إن الرعاية الاجتماعية للدعاة تتطلب منا أن نعرف طبيعة الزمن الذى نعيش فيه؛ لأننا كلما هيأنا المناخ الطيب والرعاية الاجتماعية لهم استطاعوا أن يبذلوا الجهد، وأن يعكفوا على متابعة كل جديد، وأن يشمروا عن سواعدهم لصد أى فكر وافد غير ملائم لمناخ مجتمعنا وطبيعة بيئتنا لرفع الكفاية الإنتاجية، ودعم الأخلاق الفاضلة وصيانة المجتمع من أى هزة تؤثر فيه وتعصف به، ومن هنا قال الشاعر العربى:

قُمْ للمُعَلِّم وَفِّهِ التَّبْجِيلاَ
كَادَ المُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولاَ
أرَأَيْتَ أشْرَفَ أوْ أجَلَّ مِنِ الَّذى
يَبْنى ويُنْشىء أنْفُسًا وَعُقُولاَ

ويقول الآخر:

يا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ
أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ؟
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسَ واسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا
فأنْتَ بالنَفْسِ لا بالجِسْمِ إنْسَانُ

إنه من المعلوم أن بناء النفوس صعب؛ لأنه يتطلب تغيير عادات وأمور ألفها الإنسان، وتأصيل قيم عالية وأخلاق كريمة فى نفوس المستمعين، من هنا كان عمل الدعاة إلى الله من الأعمال العظيمة فى المجتمع الفاضل، الذى نأمل أن يتحقق؛ ليَعُمّ الخير المجتمع الإنسانى بأسره، على أيدى دعاتنا الذين نؤسسهم على مبادئ وقواعد من العلم والراحة النفسية، وتهيئة المناخ الملائم؛ كى ينطلقوا بدعوتهم إلى الآفاق مبشرين بعفو الله ورحمته، داعين إلى وحدة الصف، وطهارة القلب، وإتقان العمل، وأداء الواجب، والإحسان إلى الغير، والالتحام بالمجتمع فى مودة وتعاطف وسلام، ويومئذ يعم الخير الإنسانية كلها. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾(١).

وقوله سبحانه: ﴿**وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا**﴾(٢). نسأل الله ان يتقبل عملنا ويوفقنا لكل خير انه الهادى الى الصراط المستقيم.

---

(١) الأعراف ـ من الآية: ٩٦.
(٢) الجن: ١٦.